# نعم ، نحنُ قلقون

**بقلم أ. عصام العطار**

نعم ، نحنُ قلقون حَقّاً من الاستفتاءِ السويسريِّ وأجوائه ونتائجه وآثاره

وليس قلقُنا أَنَّ حزباً يمينيّاً متطرِّفاً في سويسرا تقدّم بمبادرة لمنعِ بناءِ المآذن ، ولا أَنّه جمعَ حــولَ مبادرتِــه تأييدَ أكثر من مائة ألف مواطن ، وهو العددُ المطلوبُ للاستفتاء على المبادرة ؛ ولكنْ أَنْ يؤيِّدَ هــذه المبــادرةَ العنصريةَ المتخلفةَ المعاديةَ للإسلامِ والمسلمين ، وللحريةِ الدينيةِ وحقوقِ الإنــسان 57,5% مــن شــاركوا في التصويت من الشعبِ السويسريّ! فهُوَ أمْرٌ يدعو إلى القلق ، وأَنْ تقترنَ هذه المبادرةُ العنصريةُ بما اقترنتْ به من الافتراءِ على الإسلام والمسلمين ، وتشويهِ صورةِ الإسلام والمسلمين ، والتخويفِ من الإســلام والمــسلمين ، واستثارةِ الكراهيةِ والعداوةِ للإسلام والمسلمين بمختلفِ الوسائلِ والأشكال ، فهو أمر يدعو إلى القلق

ومواقفُ الزعماءِ السياسيينَ السويسريّين والأوروبيين ، الذين صَرّحوا برفضهم أو عدمِ قبولهم لمبادرةِ منعِ بناءِ المآذن ، لم تَخْلُ ممّا يدعو إلى القلق أيضاً ، فبعضُ هؤلاء الزعماء قدِ اقترنَ نقدُهم للمبادرةِ بإشاراتٍ سلبيةٍ ظاهرةٍ أو خَفِيّة ، بهذا الشكلِ أو ذاك ، للوجودِ الإسلاميِّ في الغرب ، مما هيّأَ جَوّاً نفسيّاً واجتماعيّاً وسياســيّاً لفوزِ مبادرةِ المتطرفينَ في الاستفتاء

ويحصلُ هذا في سويسرا والمسلمون الذين يعيشون فيها (زهاء 400 ألف) لم يكن منهم ما يُؤذي أو يُزعج ؛ بل كانوا من خيرةِ المواطنينَ الصالحينَ الإيجابيينَ الذين خدَموا البلاد ، وما يزالون يخدمون البلادَ وتقدُّمَ البلاد

المبادرةُ اليمينيّةُ العنصريةُ في سويسرا كشفتْ عمّا يُبيِّــتُهُ عُنــصريّون ومتعــصبونَ وأعــداءٌ ظــاهرونَ ومستترونَ آخرون للإسلامِ والمسلمينَ في أقطارٍ أوروبيةٍ أخرى ؛ أو بالأحرى زادَتِ الأمــرَ ظهــوراً لعامــةِ المسلمين ، فهو لم يكن من قَبْلُ بالأمرِ الخفيِّ عندَ من ينظرونَ ويسمعونَ ويدرسونَ ويعونَ حقائقَ الأمور

والمسلمونَ في أوروبا الآن –على اختلافِ أوطانهم الأصليّة– لم يعودوا طارئينَ عليها ، أو غُرَباءَ فيهــا ، فهي وطنُهم الذي يعيشونَ فيه ، ويموتونَ فيه ، ويدرسونَ فيه ، ويعملونَ فيه ، ويتزوّجون فيه ، ويُنجبونَ فيــه الأولادَ والأحفاد .. ويُحبّونَه ، ويَسْعَوْنَ في خيرِه ، ويُسْهِمونَ في تقدُّمِه .. إنهم الآنَ مــسلمونَ أوروبيــون كغيرهم من الأوروبيين . وأوروبا هذه التي آثَروها واستوطَنوها تكفلُ في دساتيرِها ومبادئِها وقِيَمِهَــا لكافّــةِ

سُكّانها الحريّةَ الدينيّةَ والشخصيَّة ، والمساواةَ والكرامةَ الإنسانيّة ، وحريّةَ التفكيرِ والتعبير ، وهـــم حريـــصونَ على التعاونِ مع سائرِ مواطنيهم ، مسلمينَ وغيرَ مسلمين ، على الحِفَاظِ على هذه المبادئِ والقِيَم ، وعلى تعزيزِ التواصلِ الإنسانيِّ والثقافيِّ فيما بينهم ، وإقامةِ أوثقِ الروابطِ الوطنيّةِ والإنسانيةِ ، لخدمةِ بلادِهم التي يعيـــشونَ فيها ، وخدمةِ الحقِّ والعدلِ والخيرِ والإنسانيّةِ جَمْعَاء ؛ ولكنَّ المسلمينَ الأوروبيينَ لم يُفلحوا حتى الآن في إبرازِ حقيقتِهم ، وحقيقةِ دينهم وتَطَلُّعاتِهم الإيجابيّة، و لم يأخذوا بَعْدُ دورَهم المنتظر ، ويُؤدّوا واجبَهم المأمولَ علـــى المستوى المأمول ، لِمَا يتعرّضونَ له أحياناً مِن هجمات ، ويُقَامُ في طريقِهم مِن عَقبات ، ويَحوكُهُ لهم حَاقدونَ متعصّبونَ من دَسائِس ؛ ولِمَا يَنْقُصُ أكثرَهم من الوعْيِ ، ومن الرؤيةِ السديدةِ، ومِنَ الشعورِ بالمسؤولية ، ومِنَ العملِ البصيرِ الفعّال ؛ ولِمَا يقعُ من قلَّةٍ قليلةٍ منهم من تصرفاتٍ سيئةٍ يدفعهم إليها جهلُهم بدينِهم ، وجهلُهم بعالِمِهم وعصرِهم، وجهلُهم بما يضرّ وينفعُ مِنَ الأمور ..

أيها المسلمونَ في أوروبا

نحنُ الآنَ في مرحلةٍ مفصَلِـــيّةٍ خطيرةٍ من الوجود الإسلاميِّ في أوروبا ، مرحلةٍ لها ما بَعْـــدَها ، ولـــيس ينفعُنا في حمايةِ وجودِنا ، وبناءِ حاضرنا ومستقبلنا ، والإسهامِ في خدمةِ البلادِ التي نعيش فيها مع غيرنا الألـــمُ والشكوى ، والشتائمُ والاتهاماتُ بالحقِّ وبالباطل ..

كُفُّوا عن النَّدْبِ والشكوَى والشتائمِ والاتهامات .. وتعالَوْا نَعْمل

تعالوْا نعمل بعلمٍ ووعيٍ وإرادةٍ واستمرارٍ وإصرار

تعالوْا نعمل متعاونينَ متكاملين ، فالتعاونُ والتكاملُ من أهمِّ شروطِ النجاح

تعالوْا نؤهِّل أنفسَنا وأجيالَنا لمعرفةٍ أفضلَ وأداءٍ أفضلَ فنحنُ الآنَ -إلاّ من رحـــم الله- دونَ إســـلامِنا ، ودونَ مُهِمّتِنا ، ودونَ عالِمِنا وعصرنا

ولا يكفينا أبداً ، ولا يفيدنا كثيراً في رَدِّ الاتهاماتِ الظالمة للإسلام والمسلمين ، وتـــصحيحِ التَّـــصَوُّراتِ الخاطئةِ عن الإسلام والمسلمين ، وإزالةِ المخاوفِ المشروعةِ وغيرِ المشروعةِ مِنَ الإسلامِ والمسلمين ، أَنْ نقولَ في لقاءاتنا أو محاضراتِنا أو مقالاتِنا : هذا كذبٌ وافتراء ، أو هذا جهلٌ صارخٌ بالإسلام ، الإسلامُ في حقيقتِه يُريد كذا ، أو لا يقبلُ كذا ..

لا يكفينا هذا كلُّه ، بل لا بُدَّ لَنا من الوجودِ الحيِّ البارزِ النافعِ الفعّالِ في مختلفِ جوانبِ الحياةِ الأوروبيةِ المشروعة : العلميةِ والثقافيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسية ، ومجالاتِ الأعمالِ الخيريةِ وحقوقِ الإنـــسان

.. فهذا جزءٌ من واجبنا الإسلاميّ ، ومن حقوقِنا وواجباتِنا كمواطنين ، وهذا ما يجعلنا -إنْ نهضنا به- مُكَوِّناً أساسيّاً إيجابيّاً نافعاً ثميناً من مُكَوِّنات الواقعِ الأوروبي

إنَّ المشاركةَ الشاملةَ العميقةَ الأمينةَ البصيرةَ النافعةَ هي التي تُحَقِّقُ التعارفَ الحقيقيَّ بينَ المسلمينَ وسائرِ المواطنينَ الآخرين ، وتُزيلُ المخاوف ، وتُوَلِّدُ الثقةَ والاطمئنانَ والاحترام ، وتُنْشِئُ الصِّلاتِ والمودّاتِ والصداقاتِ ، وتساعدُ على التعاونِ على كلِّ ما يُحقّقُ الخيرَ المشترك ، وهذا كلُّه يحتاج معرفةً ووعياً ، وكفاءةً وقدرةً ، وخُلُقاً إسلاميّاً كريماً ، وجهداً كبيراً كبيراً ، وصَبْراً جميلاً لا يعرفُ الحدود

إنّني أدعو المثقفين المسلمينَ في أوروبا ، على اختلافِ أعراقِهم ومواطنِهم الأُولى ، إلى مزيدٍ من التعارفِ والتواصلِ والتكامل ، وإلى طَرْحِ قضايا المسلمينَ الخاصّةَ والمشتركةَ في أوروبا وغيرِها فيما بينهم ، ومناقشتِها مناقشةً علميةً موضوعية ، وأداءِ دَوْرِهِمُ الواجبِ في توعيةِ إخوانِهم ومواطنيهم المسلمين ، وتسديدِ خُطاهم في عالمٍ تختلطُ فيهِ الأمور ، وتكثُرُ فيهِ المزالقُ والمخاطر

لم يَعُدْ من الجائزِ أن يكونَ كلُّ مثقّفٍ مسلم ، أو كلُّ فريقٍ مسلم جزيرةً قائمةً بنفسها منفصلةً عن بقيةِ الجزُر ، لأسبابٍ وجيهةٍ أحياناً ، أو لأسبابٍ صغيرةٍ تافهةٍ أحياناً ، أو لبعضِ مواريثِ الماضي البعيد التي تجاوزَها الزمن ، فلا بُدَّ لنا جميعاً من التكاملِ والتعاون ، من أجلِ ديننا ودُنيانا ، ومن أجلِ مُواطنينا المسلمينَ وغيرِ المسلمين ، ومن أجلِ سائرِ الناس

هذا نداءٌ من شيخٍ مُسِنٍّ تجاوزَ الخامسةَ والثمانينَ مِنَ الْعُمُر ، و لم يَعُدْ يملكُ إلاّ المناشَدَةَ والنِّداء

**﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [التوبة : 105]